

نشأة الاتجاه المذهبي في الشعر العربي و إسهام أهل شبه القارة فيه

الدكتور عبدالكبير محسن*

حافظ عبدالحنان**

The sub- continent remained the joint of various sects including jurisprudential and Sufism, so there is no sect in Islam but it has its followers in the country. They had much influence there such as they had assistance from the politician and promoted their agenda through their prominent scholars in the institutes. So that the sub - continent had Arabic poets who had contributed in the field of poetry they had actually inter linked with any of the sect which made them to concentrate on the spirit of such sect in their noble work. So, this article will through some light on the same topic.

ظلت بلاد الهند مجمع المذاهب المختلفة والمسالك الفقهية والطرق الصوفية والمشارب السلوكية فما من فرقة ظهرت في الإسلام إلا ووجدت أتباعها من أبناء البلاد فأصبحت لكل من هذه الفرق دوائر التأثير وقد ثبت لبعضها تعلق بمراكز الاقتدار ومنابع الحكم فساعدتها ذلك على الذيوع والانتشار والانتصار على نظيراتها وكانت لها كذلك مدارس ومعاهد تمتلئ بالعلماء الذين يؤيدون مسلكهم بتأليف الكتب واقتحام المناظرات فلما كان شعراء العربية من أهل شبه قارة باكستان والهند علماء وهم من جراء ذلك ينتمون إلى أحد هذه المذاهب الفقهية وبعضهم عد من من أعيانها فاختر بعضهم قريحته في إثبات مقالاته المذهبية وقرض شعراً فهكذا تمطى لنا اتجاه شعري خاص بهذا النمط الذي خلف لنا قدراً غير يسير من الإنتاج الشعري وها نحن متصدون له محللون في هذا المقال منهم الشاه ولي الله الدهلوي (١) حيث يأخذ على كتيب ألفه أحد معاصريه الشيخ صدر عالم الدهلوي ودرج فيه بعض الأفكار التي بعثته على النقد عليه، منها فكرة تفضيل سيدنا على رضي الله عنه على سائر الصحابة وهي عقيدة تحملها الشيعة منذ ظهورها وقد نشب من جراء ذلك صراع عنيف بين شعراء الشيعة وبين مخالفيهم بعد مقتل سيدنا عثمان رضي الله عنه

* أستاذ اللغة العربية في كلية أصغر مال الحكومية، راولبندى.

** ليكنجرار، دعوة اكيثمي، بين الاقوامى اسلامى يونيورسنى، اسلام آباد.

فسبب ذلك ظهور قدر كبير من الإنتاج الشعري يملأ دواوين الشعراء ، اتسم كثير من الشعراء العرب بالاتجاه المذهبي في كل فرقة لها وجودها في ذلك العهد مثل الشيعة والخوارج والمعتزلة والمرجئة ثم الأحزاب السياسية مثل حزب بنى أمية وحزب بنى العباس والعلويين وغيرهم فكل من هؤلاء وجدوا شعراء يناصرونهم بشعرهم ويثبتون فكرتهم وينقضون دليل الآخرين فكان لذلك أثر كبير في نشر الأفكار وجذب الناس إلى فرقة يؤيدها هو وهكذا ترى الأدب العربي بلون جديد من الشعر فأول من اتخذ شعره وسيلة لإثبات افكاره المذهبية هو الكميت صاحب الهاشميات فعمله هذا يعتبر إضافة إلى الأدب العربي وإثراء له بمادة شعرية تتجسده بنوع لم يكن معروفا من قبل وجديدا على أساليب الشعر العربي (٢) وإن كان شىء من الأفكار المذهبية يوجد في الشعر الجاهلي مثل فكره إنكار البعث بعد الموت حيث قال بعضهم :

حَيَاةٌ ثُمَّ مَوْتُ ثُمَّ بَعْثٌ حَدِيثٌ خُرَافَةٌ يَا أُمَّ عَمْرُو

ويصرح صاحب الأغاني (٣) أن الأعشى كان ينكر قدرة الله على عباده الشر الفكرة التي بثها المعتزلة فيما بعد ، كما يظهر من شعره التالي :

اسْتَأْثَرَ اللَّهُ بِالْوَفَاءِ وَبِالْعَدْلِ وَوَلَّى الْمَلَأَمَةَ الرَّجُلَا

وكان لبيد (٤) يرى فكرة الجبرية (٥) كما يبدو من شعره الآتي :

مَنْ هَذَا سُبُلَ الْخَيْرِ اهْتَدَى نَاعِمَ الْبَالِ وَمَنْ شَاءَ أَضَلَّ (٦)

فلم يبال النقدة بهذه الأفكار ولم يوجهوا هذا الشعر إلى الاتجاه المذهبي لكونه غير واضح وضوح شعر ظهير وجوده في وسط القرن الأول الهجري فذهب أكثرهم إلى اعتباره جديدا على الشعر العربي

فمذهب الشيعة كان أغنى المذاهب من حيث إنه وجد من يدعمه ويناصره ويثبت حجته بالكلمة والبيان ، الإنتاج الشعري الذي قرضه شعراء الشيعة يعد أغزر الشعر العربي المتجسده بهذا اللون مادة ومن أشهرهم كثير (م ٥١٥٠) الذي كان غالبا في تشيعه وكان مؤمنا بتناسخ الأرواح كما يعتقد الهندوس (٧) وهو الذي قال :

أَلَا إِنَّ الْأَيِّمَةَ مِنْ قَرِيْشٍ وَلَاةُ الْحَقِّ أَرْبَعَةٌ سِوَاءِ

عَلَيٍّ وَالثَّلَاثَةُ مِنْ بَنِيهِ هُمْ الْأَسْبَاطُ لَيْسَ بِهِمْ خَفَاءُ (٨)

فنجد هذه الفكرة سائدة على أدب الشيعة ، ومنهم السيد الحميري ومنصور النمر

ودعبل الخزاعى وأمثالهم، وكذا شأن الفرق الأخرى التى كانت وليدة هذا العصر مثل الخوارج والمعتزلة والمرجئة وقد كان للمعتزلة أثر كبير فى إثراء الأدب العربى من حيث المعانى وقوة المنطق وتوليد الأفكار والنظر إلى الكون وإلى الطبيعة، أما بلاد الهند فلم تتقوَّ فيها هذه الفرق المذكورة ولم تشتهر اشتهاً الشيعة

فالشيخ صدر عالم لما أرسل بكتيبه المذكور إلى الشاه ولى الله قرضه بقصيدة نقد عليه فكرة تفضيل سيدنا على^{عليه} على الخلفاء الثلاثة الأول وأخذه بذلك ومما قاله بهذا الصدد :

وَإِذْ أَذْنَاكَ سَيِّدُنَا عَلِيٌّ بِإِكْرَامٍ وَعَلَّمَ مَا يَشَاءُ (٩)
تُوَلِّفُ فِي مَنَاقِبِهِ كِتَابًا وَعِنْدَ اللَّهِ فِي ذَلِكَ الْجَزَاءُ

حتى قال :

قَبُولُ النَّاسِ لِلتَّنْزِيلِ فِيهِ سِيَاسَاتُ لَهُ مِنْهَا نَمَاءُ
فَمِنْهَا رَدُّ تَحْرِيفٍ وَمَدُّ لأسبابٍ لَهُ مِنْهَا انْتِشَاءُ
وَصُلُحٌ وَاخْتِصَامٌ وَائْتِلَافٌ بِأَقْوَامٍ قُلُوبُهُمْ هَوَاءُ
لِهَذَا الْقِسْمِ أَسْرَارٌ عَظَامُ وللشَّيْخِينَ فِيهِ اعْتِلَاءُ
وَمَا نَالَ الصَّحَابَةَ عَارٌّ فِيهِ يَقِينًا مِثْلَ مَا طَلَعَتْ ذَكَاءُ
فَأَثْبِتْ ذَاكَ لِلشَّيْخِينَ وَاخْتَرِ مِنَ الْأَوْصَافِ مَدْحًا مَا تَشَاءُ (١٠)

وله كذلك أبيات مقرظاً بها على بعض رسائل خواجه محمد باسط الدهلوى وكان يرى رأى صدر عالم فى تفضيل سيدنا على^{عليه} كلياً فنصحته الشيخ إلى سواء الصراط فيه ووضع له ضابطاً حيث قال :

وَمَا كَانَ مِنْ مَدْحٍ فَفِيهِ ثَبُوتُهُ وَمَا كَانَ مِنْ قَدَحٍ فَذَا عَنْهُ حَائِطُ (١١)

ومن الشعراء الذين نهجوا منهج أسلافهم من شعراء الشيعة فى قرض الشعر التفضيلى المثبت لحجة الشيعة السيد على معصوم الدستكى (م ١١١٧ هـ) وقد بالغ فى مدح سيدنا على^{عليه} حيث قال :

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَذَلِكَ نَفْسِي لَنَا مِنْ شَأْنِكَ الْعَجَبُ الْعَجَابُ
تَوَلَّىكَ الْأَوَّلَى سَعِدُوا وَفَارَزُوا وَنَاوَاكَ الَّذِينَ شَقُّوا فَحَابُوا
وَلَوْ عَلِمَ الْوَرَى مَا أَنْتَ أَضْحَوْا لَوَجْهِكَ سَاجِدِينَ وَلَمْ يُجَابُوا
يَمِينُ اللَّهِ لَوْ كُشِفَ الْمُعْطَى وَوَجْهُ اللَّهِ لَوْ رُفِعَ الْحِجَابُ

حتى قال أخيراً :

فلولا أنت لم يخلق سماء ولولا أنت لم يُخْلَقْ تُرَابٌ (١٢)

فهذا هو الإطار الذى اشتهر به بعض شعراء الشيعة فى كل العهود ، منهم أيضا السيد حامد حسين فيض آبادى ولى شعر جيد فى المديح والحماسة والنسيب وقد نظم عدة قصائد فى مدح سيدنا علىؑ ومنها ما أورده صاحب نزهة الخواطر (١٣) بدأها بالتشبيب ومن جودة استهلاله إنه ذكر خمسة أسماء تقليدية مما يرد به التشبيب فى الشعر العربى التقليدى وبعد أحد وعشرين بيتا فى التشبيب يتحول إلى الغرض الذى من أجله ساق تلك القصيدة وقال :

طوبى لِشَهْرٍ أَتَانَا واسمه رَجَب فيه وَلَادَةُ نُورٍ مِنْ بَنِي طَلِ
أُعْنَى به حيدرا فى المهد عهد صبي مولاي خَيْرُ بَنِي الدُّنْيَا وَأَزْكَاهَا
هو الذى كان بَيْتُ الله مَوْلِدُهُ وذى الرواية صَحَّتْ فَاعْتَقَدْنَاهَا

ومنهم باقر لکنوى (م ١٣٤٦هـ) أورد صاحب النزهة له قصيدة طويلة فى هذا الموضوع (١٤) ومستهلها التشبيب المعروف ثم أخذ فى الفخر الذاتى والنقد على خصومه وأطال البيان فى الافتخار بقومه والانتساب إليه ووصفه بأوصاف الشجاعة والإباء حتى قال :

وَمِنَّا عَلِيٌّ خَيْرُ مَنْ وَطِئَ الْحَصَى وَأَكْرَمُ مَنْ يَعْلُو مُتُونِ السَّوَابِقِ
وَأُنْدَى الْوَرَى كَفًّا وَأَطُولُ غَالِبِ قَنَاءَ وَأَرْعَاهُمْ ذِمَامِ الْمِيَاثِقِ
وَأَعْظَمُهُمْ عِلْمًا وَجِلْمًا وَمَفْخَرًا وَأَجْمَعُهُمْ لِلْمَكْرُمَاتِ السَّوَابِقِ

ويصفه بشدة البأس فى الحروب وخص بالذكر يوم صفين حيث قال :

وما كَفَّ حتى قد جَرَى مِنْ دِمَائِهِمْ بِصِفِّينِ أَمْثَالُ السُّيُولِ الدَّوَاقِ

نجد الشاعر لا يخوض فى الأمور المتنازع فيها بين الشيعة وأهل السنة وقد غلبه بيان أوصاف الكرم والجود والإغاثة والشجاعة إلا إن مسألة التفضيل بدت بقوة لديه وهذا لا يبالى به كثيرا إذا لم ينظر إلى خلفية الشاعر لأن الشعراء فى القديم والحديث على المبالغة فى مدح الأمراء حتى يدنو أدناهم كأنه أفضل من يمشى على سطح الأرض

يظهر من دراسة ما سبق من الإنتاج الشعرى لأهل شبه القارة أنه لم يبلغ فى المعارضة وقوة الحجة الدرجة التى بلغها إنتاج الشعراء العرب بهذا الصدد زمن الصراعات العنيفة بين الأحزاب المتصارعة والسبب فى يرجع إلى طبيعة ساكنى شبه القارة وهدوء كان يعم البلاد فى معظم الأحيان وثمة سبب آخر وهو أن هؤلاء الشعراء -الذين كانوا علماء- فضلوا للتعبير عن

معتقداتهم ومحسوساتهم النثر على النظم فألفوا كتباً في هذا المجال لإثبات ما أرادوا إثباته وفي الرد على مخالفيهم أما شعرهم العربي فلم يكن ذا تأثير بالغ في نفوس الشعب لكون أكثرهم لا يفهمون هذه اللغة فلم يكن لشعرهم من تأثير ما لكتبهم التي وضعوها باللغات المحلية هذا جانب من هذا الاتجاه المذهبي ولا يتم الكلام إلا إذا سقنا إنتاجاً شعرياً يعارض ما سبق من شعر التشيع فقد كان الصراع بين الفريقين متواجداً في البلاد وإن كان في صورة الجدليات والمناظرات اللسانية في الأغلب الأعم (١٥) عثرنا على شعر أهل السنة ينقض دليل الشيعة ويذكر فضائل الصحابة عموماً وفضل الخلفاء الراشدين خصوصاً وفيما يلي بعض النماذج التي بهذا الاتجاه :

أصحابه وَهُمْ الْعُدُوْلُ جميعهم	هم حافظوا أحكامهم الأماناء
هُمْ كَالنَّجُومِ مَنِ اقْتَدَى بِهِم اهْتَدَى	وَلَرَبَّنَا عَنْهُمْ وَعنه رِضَاءُ
نُحِبُّ لِنَصْرَةِ دِينِهِ وَنبيه	هَلْ فِي الدَّهْورِ كَمِثْلِهِمْ سَعْدَاءُ
ما فِي تَلَامِيذِهِ فَمِنْ أَسَاطِدِهِمْ	وَكَمَالُهُمْ لِكَمَالِهِ إِفْشَاءُ

ثم الشاعر يوجه النصيحة والرد في نفس الوقت إلى من في قلبه شيء من الصحابة فنراه يخاطبه ويعتبر بغض أحد من الصحابة فتنة ويحذره من الوقوع فيها ويقول :

خَطَرٌ عَظِيمٌ نَقُصُّهُمْ أَوْ بُغْضُهُمْ	لَهُمَا إِلَى أَسَاطِدِهِ إِفْشَاءُ
يَا مُبْغِضاً مَهْ أَنْ تُبْلَى بِهِم	لَا رَيْبَ تِلْكَ الْفِتْنَةِ الْعَمِيَاءُ (١٦)

فتبدو روح المعارضة بصورة أقوى من إنتاج الشيعة الذين لم يصرحوا بما قصدوا به من بغض الصحابة أو سبهم وإنما دار خيالهم الشعري فيما عثرنا عليه حول مسألة التفضيل فقط حيث إن إنتاج مخالفيهم من أهل السنة لم يتعد أيضاً إثبات مقالاتهم وحجتهم وتقديم الدليل المدعم بالأسلوب المنطقي ثم النصح للخصوم ، أما التحدى والصراحة بالرأى والعقيدة (ونجدهما بارزين في الإنتاج الشعري لشعراء الأحزاب من العرب) فلا وجود لهما في شعر أهل شبه القارة الذي عمه الهدوء وساده اللين في الكلام ، ومن أمثلة هذا القبيل من الشعر ما يلي :

وَكَمْ مِنْ رِجَالٍ أَكْرَمُوا بِدُعَائِهِ	فَمَا مَسَّهُمْ حَرٌّْ وَلَا مَسَّهُمْ بَرْدٌ
وَهُمْ كَنُجُومٍ نَهْتَدَى بِرِيقِهَا	فَهَدْيُهُمْ هَدًى وَرُشْدُهُمْ رُشْدٌ
حَيَاتُهُمْ لِلَّهِ وَالْمَوْتُ مِثْلُهَا	غَدَا الْجُوعُ عَيْنَ الشَّعْبِ وَالْحَرْبُ يَشْتَدُّ
تَظُنُّهُمْ فِي السِّلْمِ مِثْلَ مَشَائِخِ	وَفِي الْحَرْبِ تَلْقَاهُمْ كَأَنَّهُمْ أُسْدٌ

نَهَاراً هُمُ الْفُرْسَانُ رُحْبَانُ لَيْلِهِمْ فَجَهْدُهُمْ جُهْدٌ وَزُهُدُهُمْ زُهُدٌ (١٧)

عرض بعد هذه الأبيات بمن ييغض أصحاب الرسول عليه السلام ورماهم بالجهل :

وَلَيْسُوا بِأَعْمَادٍ كَمَا ظَنَّ جَاهِلٌ فَكُلُّهُمْ سَيْفٌ أَحَاطَ بِهِ غِمْدٌ

وخص بالذكر منهم اثنين في بيتين تالين أحدهما علي الذي يفضلته الشيعة على غيره من

الصحابه والثاني عثمان الذي ييغضه القوم فكأنه بالجمع بينهما يبين عقيدته وهي الحب لكل منهم

وعدم البغض لأي واحد ويوضح أن لكل فضلا ولا يلزم من الاعتراف به نقص الآخر :

وَأَنْفَقَ كُلُّ الْمَالِ عِثْمَانُ حِسْبَةً فَبَشِّرِ الْجَنَّاتِ حَقَّ لَهُ الْوَعْدُ

وَأَعْطَى عَلِيًّا ذَا الْفَقَارِ بِخُنْدَقٍ فَطَافَ بِأَحْزَابٍ طَعَتْ وَهُوَ الْفَرْدُ

ومن الذين جمع بالذكر بين الخلفاء الأربعة إشعارا بالمودة بينهم طلاء محمد بشاوري :

ثُمَّ الرِّضَى عَنْ جَمِيعِ الصَّحْبِ قَاطِبَةً لَا سِيَّمَا عَنْ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ

عن ابن عفان ذى النورين بعدهما وعن علي مُحِيطُ الْعِلْمِ وَالْخَيْرِ (١٨)

ومن شعراء أهل السنة الشيخ الجليل ظفر أحمد التانوي وقد بسط البيان في مدح الصحابة

ويذكر أكابرهم بالخير والثناء عليه وجعلته الحماسة على حب الصحابة أن ساق ذكرهم وبيان

تضحياتهم في المعارك وحقل الدعوة قبل أن يأخذ في في المديح النبوي وذلك في القصيدة الرائية من

مدائحه النبوية (١٩) ونجده يعرض بمن ييغض الصحابة دون التصريح بذكرهم تبعا للمنهج السائد في

إنتاج البلاد الشعرى الصادر من كلا الفريقين وذلك في البيت التالي :

وَلَنْ تَبْتَغِي إِلَّا لَدَيْهِمْ هِدَايَةً وَمَا حَادٍ عَنْهُمْ غَيْرُ غَيْرٍ مُزَوَّرٍ

وممن جمع بين الآل والأصحاب عبد المنان الدهلوى حيث قال :

وَعِظْمَةُ الْآلِ وَالْأَصْحَابِ ثَابِتَةٌ تَبَا لِمُنْكَرِهَا وَيْلٌ لِمَنْ جَهْلُهَا (٢٠)

فيحس المطالع في شعر الصراع والمعارضة الصادر من الطرفين بأنه لم يبلغ في حدة التعصب

المذهبي مبلغ أسلافهم من الشعراء العرب في العهود الأولى ولعل مرور الدهر أبرد الشعل التي كانت

مرتفعة ارتفاع السماء ثم نظرا إلى طبيعة البلاد والعصر حيث إن معظم هذا الإنتاج ظهر في زمن

الاحتلال الإنجليزي الكافر الذي كان عدوا مشتركا لكل الطوائف المسلمة فهذا جعلهم اختاروا

الأسلوب اللين الهدوء في البيان حتى لا تضعف شوكتهم أمام هذا الخطر الأجنبي المشترك لأن قادتهم

كانوا مترابطين أمام الاحتلال وما أرادوا أن يشغل بالهم شيء ما عدا مقاومة العدو الأجنبي

تنقسم طوائف أهل السنة في بلاد شبه القارة-باكستان والهند- إلى ثلاثة أحزاب وهي:

١- الديوبندية، نسبة إلى ديوبند قرية في الهند اشتهرت بوجود دار العلوم فيها أعظم مدرسة دينية على الإطلاق ولها فضل كبير في نشر العلوم الدينية وتخريج جم غفير من العلماء الذين ساهموا في النشاطات المذهبية والسياسية أيام الاحتلال وهذه الطائفة من الأحناف ولكنهم عرفوا في الهند وباكستان بالديوبنديين نسبة إلى دار العلوم المذكورة تميزا بينهم وبين طائفة أخرى من الأحناف الذين عرفوا ب :

٢- البريلوية : وهم مقلدو الإمام أبي حنيفة مثل السابقين ولكنهم امتازوا عنهم في بعض المعتقدات ، وهي نسبة إلى بريلي قرية مشهورة في الهند وهي مولد الشيخ الجليل احمد رضا خان البريلوي الذي نال قسطا كبيرا من الفضل في نشر بعض المعتقدات التي ميزت البريلويين من الديوبنديين

٣- أهل الحدث ، رفضوا التقليد لأحد من الأئمة الأربعة وغيرهم ، أمثالهم يعرفون بالسلفيين في بلاد العرب أما هؤلاء في شبه القارة فقد أطلق عليهم أيضا اسم الوهابية وخاصة في زمن الاحتلال حيث برزت عدة من الحركات المقاومة للاحتلال وقد رأسها علماء من الديوبندية وأهل الحديث

فاخترع الإنجليز هذا اللقب - كما يرى البعض- ليشعر أن لهم صلة بحركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي وابن سعود في جزيرة العرب ، تعايشت هذه الطوائف معا في الهند وبينها خلافات فرعية فقام الصراع بينها في شكل الجدليات الكلامية والمناظرات وتبادل الانتقادات فيما بينهم نثرا ونظما بلغات محلية ومنها اللغة العربية التي تعتبر لغة مذهبية لجميع الطوائف المذهبية من الشيعة وأهل السنة ، وقد أنتج من الشعر العربي كثير بصدد المعارضة المذهبية وهذا ما نغنى بدراسته في هذا المقام

قد عثرنا على عدة قطع شعرية تتناول النقد المذهبي ومنها ما سمحت به قريحة الشيخ أحمد رضا خان البريلوي وكان معروفا بالعنف في كتاباته ضد مخالفيه في المذهب فشعره كذلك يتسم بسلاسة التعبير وقوة الحجة ، يقول في إحدى قصائده منتقدا على [أبي الوهابية الدهلوي الذي سمي أذنا به الموحدين] (٢١)

تَعَسَّأَ لِمَنْ بِالْأَعْتَرَا	لِ وَبِالتَّوَهُبِ جَاءُ وَ
ذَا أَهْلُ تَوْحِيدٍ وَذَا	كَ مُوَحِّدٍ عَرَّاءُ
تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ	فَتَنَاسَبَ الْأَسْمَاءُ (٢٢)

وله [رادا على وهاية الكنكوهي] (٢٣) :

وَلَا أَذْرِي وَسَوْفَ إِحَالُ أَذْرِي	أَقُومُ أَلْ نَجِدُ أُمُ نِسَاءُ (٢٤)
فَمَنْ فِي كَفِّهِ مِنْهُمْ خِصَابٌ	كَمَنْ فِي كَفِّهِ مِنْهُمْ لَوَاءُ

فَمَا فِيهِمْ رَشِيدُ الصَّدَقِ إِلَّا وَإِنْ تُمَعِّنْ فَرُّشُهُمْ هَوَاءَ (٢٥)
فَمَا مَعْنَى تَحَاوُرِهِمْ وَلَكِنْ عَسَى الْحَنَّا يُهْدِي مَنْ يَشَاءُ (٢٦)

نجد الشاعر قام بصراع عنيف وهذا عكس ما ألفناه في النماذج الشعرية السابقة الذكر لشعراء الشيعة وأهل السنة حيث كانوا يرمون خصومهم بالقول المتحلى بالمنطق والأدلة العقلية أما هذه الصراحة بالبيان واستخدام الأسلوب الشنيع فكأنه جدة في شعر الاتجاه المذهبي في بلاد شبه القارة ، ولكم نموذج آخر بنفس النمط من الشدة والحدة وهو من قصيدة قرضها الشيخ ناقدًا على مخالفته في المذهب (٢٧) في الابتداء يتوجه الشاعر إلى الله تعالى بحمده ويطلب منه النصر عليهم فقال :

لَا هُمْ قَدْ هَجَمَ الْعَدَى مِنْ كُلِّ شَأٍ وَأُبْعَدَ
فِي خَيْلِهِمْ وَرَجَالِهِمْ مَعَ كُلِّ عَادٍ مُعْتَدٍ ، يقول بعد عدة أبيات :
لَا بَارَكْتَ يَدَ رَبَّنَا فِي نَجْدِ أَهْلِ مَفَاسِدِ
فِيهَا الزَّلَازِلُ وَالْفَتَنُ وَبِهَا جُنُودُ مَطَرِدِ
هِيَ مَطْلَعُ الْقَرْنِ الدُّنْيَى قَرْنِ الْعُنَيْدِ الْأَعْدِ
فَبِذَا أَتَانَا الْعِلْمُ فِي خَيْرِ صَحِيحٍ مُسْنَدِ (٢٨)

يبين الشاعر وجهة نظره في هذه الأبيات عن وجهة نظره عن وجود الصلة بين مخالفتي مذهبه وبين رهط الشيخ محمد بن عبد الوهاب وكان مولده نجدا إقليمًا في المملكة العربية السعودية ولذا وجدناه في أبياته السابقة الذكر يطلق عليهم اسم (الوهابية) وكانت معتقداته تماثل معتقدات هؤلاء والشاعر يختلف عنهم فيها فهذا ما بعثه على هذا النقد ، لم يشر الشاعر إلى المسائل التي بعثت النزاع بينهم إلا أنه يعتبرهم من أهل البدع ويرميهم باتصافهم الزيغ والبطلان وذلك في قصيدة أخرى من هذا الاتجاه حيث يقول :

شَرَفْتَنَا بِالْحَقِّ فَأَنْصَرْنَا عَلَى بَدْعِ الْعُنُودِ وَنَزَعَةِ الْمُجَانِ
حَتَّى نَكُونَ حُمَاةَ دِينٍ قِيمٍ وَمُحَاةَ شَرِّ الزَّيْغِ وَالْبَطْلَانِ (٢٩)

أما نقيضه الشعري من الطرف المحاذي فهو مثيله في الشدة والعنف ، يتقدم أحدهم معارضا هذا الشعر ومبدئاً رأيه في إطلاق لقب (الوهابية) على حربه المذهبي فيقول :

إِنْ كَانَ هَذِي مُحَمَّدٍ وَسَبِيلُهُ ذَاكَ التَّوَهُبُ فَادْعُنِي وَهَابِي (٣٠)
وله في مدح حربه المذهبي (أهل الحديث) ومعرفة إياه ومظهرها معتقده :
أَهْلُ الْحَدِيثِ عَصَابَةٌ نَبَوِيَّةٌ تَرْضَى بِفِعْلِ الْمِصْطَفَى وَبِأَمْرِهِ

وَتَحْطُّ رَأْيَ النَّاسِ أَوْ أَقْوَاهُمْ حَطَّ السُّيُولِ الصَّخَرِ أَعْلَى صَخْرِهِ (٣١)

فهذه عدسة أمثلة من شعر المعارضة المذهبية التي بدت لدى الفرق المذهبية في باكستان و الهند وفيما يلي نقدم أمثلة أخرى تتسم بالاتجاه المذهبي وقد تناول فيها أصحابها بعض المسائل التي كانت متنازعة بينهم فمنها ما قاله عبد العزيز الملتاني في إثبات رفع السبابة في الشهد وقد أنكره قوم وله في هذه المسئلة رسالة كذلك ومما قاله بهذا الصدد :

عبد العزيز يقول نظماً فَأَبْتَعُوا حُكْمًا صَحِيحًا بالنصوص مُؤَيَّدًا
إِلَّا الْإِشَارَةَ سُنَّةً مَأْنُورَةً قَدْ جَاءَ مِنْ جَمِيعِ الصَّحَابَةِ مُسْنَدًا
بِحَدِيثِ خَيْرِ الْخُلُقِ صَحَّ بَيَانُهُ فَأَعْمَلْ بِهَذَا الْخَبَرِ حَتَّى تَرُشِدَا
وبالاتفاق مِنَ الْأُئِمَّةِ كُلِّهِمْ كَأَبَى حَنِيفَةَ وَصَاحِبِيهِ وَأَحْمَدًا
والشافعي ومالك فَاتَّبِعْهُمْ إِذْ مَنْ يُخَالِفُهُمْ فَلَيْسَ بِمُقْتَدَا (٣٢)

ومنهم محمد أحمد الطوكي ، كتب عنه صاحب النزهة : كان شديد التعصب على الأحناف (٣٣) نظم قصيدتين في ذم المقلدين للأئمة إحداهما تقع في مأتين وأثنين وثمانين بيتا وأخرى تربو على مائة وخمسين بيتا (٣٤) ولكم بعض أشعاره بهذا النمط :

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو الْمُشْرِكِينَ بِلَدَّةٍ بُلِيْتُ بِهَا مِنْكُمْ بِكَرْبٍ وَغُرْبَةٍ
أَقَمْتُ لَدَيْهِمْ مَدَّةً فِي دِيَارِهِمْ كَبِيئًا حَزِينًا مِنْ أَذَاهُمْ وَحَفْوَةٍ (٣٥)

وكان لشدته في اعتقاداته تعرض لسخط من حاكم البلدة الذي سجنه ثم أطلق سراحه بشفاعة من عمه : وإليه يشير البيت التالي :

وَصَافَتْ عَلَى الْأَرْضِ جِدًّا بِرَحْبِهَا هَجُومًا لِأَنْوَاعِ الْحَطُوبِ الْمُئِمَّةِ
وَيَصِفُ مُخَالَفِيهِمْ بِكَوْنِهِمْ أَهْلَ الْبِدْعِ قَائِلًا :
وَجَدْتُهُمْ عُصِيَا عَنِ الْحَقِّ وَالْهُدَى وَمُقْتَحِمِي لُجَّ الضَّلَالِ وَبِدْعَةٍ
وله في ذم التقليد والحث على اتباع السنة :

وَذَكَّرْتُ بِالْقُرْآنِ سِرًّا وَجَهْرًا وَرَغَبْتُهُمْ فِي الْإِتْبَاعِ بِسُنَّةٍ
وَأَخْبَرْتُ عَنْ بَطْلَانِ تَقْلِيدِ مَذْهَبٍ وَعَرَفْتُهُمْ مَا جَاءَ نَا مِنْ أَدِلَّةٍ

وهذا الذي أغضب الناس عليه وسبب إغراضهم عنه :

وَأَغْضَبَهُمْ إِنْكَارُ تَقْلِيدِ مَذْهَبٍ وَعَزَّهُمْ إِنْكَارُ زُورٍ بِكَثْرَةٍ

رأى أحد الفرق المذهبية (٣٦) القيام عند ذكر ولادة الرسول عليه السلام فيقول زعيمهم المذهبي :

تولهُ وقُم بالوَجْدِ قَوْمَهُ وَالِيهِ فَحَقَّ خُضُوعُ الْوَجْهِ رَغْمًا لِكَارِهِ (٣٧)

هذا ما يتعلق بشعر الجدل من قرض الشعراء وهم العلماء الممتنعين إلى الفرق الفقهية الموجودة في بلاد شبه قارة باكستان والهند، وثمة إنتاج شعري كبير قرض في معارضة فرقة القاديانية وهم الذين صدقوا المتنبي الكذاب مرزا غلام أحمد القادياني واعتبروا بنبوته فنشط المسلمون ضدهم بكل ما لديهم من وسع وطاقة من تأليف الكتب وقرض الشعر بجميع اللغات الهندية وخوض المناظرات ضدهم، ما يتعلق بالشعر العربي بهذا الصدد فقد درسناه في مقال خاص نشر بعنوان: جهود علماء شبه القارة في مقاومة الحركة القاديانية (٣٨) فنحيل القارئ إليها.

الهوامش

- (١) من الأعلام البارزين في الهند في القرن الثاني عشر الهجري، له ولسالته من بعده خدمات جليلة في نشر الحديث
- (٢) شوقي ضيف، الدكتور: التطور والتجديد في الشعر العربي، طبعة سادسة دار المعارف القاهرة، ١٩٨١م، ص: ٢٥٥
- (٣) أبو الفرج الإصبهاني، الأغاني، مؤسسة جمال، بيروت ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م: ٩/ ١١٣
- (٤) يعد من أبرز شعراء العصر الجاهلي أسلم وترك قرض الشعر بعد إسلامه
- (٥) تعني هذه الفكرة أن الإنسان مجبور محض فلا اختيار له في الخير أو في الشر
- (٦) المرجع السابق: ٣/ ١٢
- (٧) السابق: ٩/ ٢٥٨
- (٨) السابق: ٩/ ١٤
- (٩) يشير بذلك إلى رؤيا ذكرها المؤلف في كتابه وهي أنه رأى سيدنا علي^{رضي الله عنه} أدناه إليه وعلمه.....
- (١٠) الدهلوي، ولي الله، التفهيمات الإلهية (بالفارسية) المجلس العملي بمدينة دابهيل، سورت (الهند) ١٩٥٥م، ص: ٦٢-٦٣
- (١١) الحسن، عبد الحى الكنوي، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، طبعة أولى بمطبعة دائرة المعارف حيدر آباد دكن (الهند) ١٣٦٦ هـ - ١٩٤٧ م: ٦/ ٢٨٨
- (١٢) فيه رعاية لأبي تراب، كنية سيدنا علي^{رضي الله عنه} كناه بها الرسول^{صلى الله عليه وسلم}، انظر الأبيات في: نزهة الخواطر: ٦/ ١٨٦
- (١٣) راجع: ٨/ ٩٧
- (١٤) انظر: ٨/ ٤١٢
- (١٥) لم يتحول هذا الصراع اللساني إلى حروب ومناوشات إلا أحيانا قليلا وقد عاش الفريقان في الأيام السالفة بهوء وأمن والحال قد تبدل بعض التبدل في أيامنا هذه، ندعو الله أن يوزقنا الأمن والسلامة

- (١٦) مجلة الرشيد، العدد الخاص بالمناشئ النبوية بثلاث لغات، المكتبة الرشيدية، لاهور، من قصيدة المفتي جميل أحمد التانوي، انظر مجلة الرشيد ص: ١٣٥-١٤٠
- (١٧) المرجع السابق: ١٩١ (١٨) السابق: ١٩٩
- (١٩) السابق: ٢٠٠-٢٠٥ (٢٠) السابق: ٢٥٠
- (٢١) انظر العبارة التي بين [] في حقائق بخشش، وهو ديوان شعره: ٩٠ / ٣
- (٢٢) السابق، نفس الصفحة (٢٣) السابق
- (٢٤) القوم يطلقون على خسومهم لقب [نجدى] إشعاراً بأن لهم علاقة مع الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدى
- (٢٥) مخاطبته في هذه الأبيات الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي من علماء الديوبندية ففي تركبته: رشيد الصدق رعاية لاسمه
- (٢٦) حقائق بخشش، ديوان شعر الشيخ أحمد رضا خان بريلوي، الطبع القديم في مدينة بتال (الهند) الجديد في مطبعة كنج شكر لاهور (باكستان) : ٩٠ / ٣
- (٢٧) نشرت هذه القصيدة مع قصيدة له أخرى بعنوان: قصيدتان رائعتان، بتحقيق محمد أحمد الصباحي، تحت إشراف المجمع الإسلامي بمدينة مباركفور- الهند- سنة ١٤٠٩ هـ
- (٢٨) السابق، ص: ٣٦، إشارة إلى قول الرسول عليه السلام مشيراً بيده إلى جهة المشرق من المدينة المنورة أنها موضع الفتن وقد أخذ بهذا الحديث كل حزب مذهبي وطبقه على خصومه، كُلُّ حَزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُوا
- (٢٩) السابق: ٣٤
- (٣٠) سورتى، عبد الرحمن طاهر، تاريخ ادب عربى (ترجمة أردية ل : تأريخ الأدب العربى لأحمد حسن الزيات، مطبع غلام على، لاهور، ص: ٦١٢ والمترجم ابن قاتل هذه الأبيات
- (٣١) السابق (٣٢) نزهة الخواطر: ٧ / ٢٩١
- (٣٣) راجع: ٨ / ٣٨٥ (٣٤) السابق، نفس الصفحة
- (٣٥) السابق: ٨ / ٣٨٦ (٣٦) وهم البريلوية من الأحناف
- (٣٧) البيت للشيخ أحمد رضا خان، حقائق بخشش: ٩٠ / ٣
- (٣٨) نشر في مجلة قسم العلوم الإسلامية للجامعة الإسلامية، بهاولفور، المجلد: ١٨، العدد: ١، ٢٠١٣ م